نوح ـ الرجل الذى وضع ثقته فى الله

بالإسهاب فى التفاصيل والخيال المنطقى يصبح سرد الكتاب المقدس لقصة الطوفان نابضًا بالحياة .

نشر لأول مرة
مجلة الخليقة 21 (2) : 44 - 47
مارس 1999

بقلم "رنتون ماكلاكلان"

كان يزداد دهشة كل يوم ، صارت الأمور من سيىء لأسوأ كل يوم . فبالأمس ضُرب "زاك" العجوز حتى الموت من أجل بضعة رقائق ذهبية ، والشهر الماضى هجمت عصابة من البلطجية على قرية وقضت عليها بأكملها . إذا استمرت الأمور على هذا المنوال فلابد أن الله سيتدخل كما قال لـ"نوح" منذ زمن بعيد .

والآن ينتابه القلق على أسرته ، فأولاده الثلاثة تزوجوا وسكنوا بالقرب منه وعملوا معًا . لكن الأمن فى المنطقة التى يسكنون بها لم يعد مستقرًا خلال السنوات الأخيرة .

من الغريب كيف أبعد الناس الله سريعًا عن فكرهم . لقد مرت 1600 سنة فقط منذ خلق الله أول إنسان ، رأس الجنس البشرى . لكن تمرد "آدم" و"حواء" على الله وأولادهما ونسلهما فعلا بالمثل لكن بدرجات متفاوتة . والآن يبدو أن الله مرفوض فى كل مكان تذهب إليه وأعلنوا عن رفضهم هذا بأنواع وطرق فظيعة .

لقد مرت عدة عقود الآن منذ أن قال الله لـ"نوح" أنه لن يحتمل مثل هذا الشر إلى الأبد ووضع 120 سنة كحد أقصى بدون الإفصاح عما ينوى أن يعمله . لكن من الواضح أنه يعد شيئًا ضخمًا والآن مهما كان هذا الشىء فإن الوقت يقترب .

كان "نوح" يعرف أن الله هو الله لذا لابد من عبادته والوثوق فيه وطاعته ، وهذا عين ما فعل "نوح" : كان يؤدى عمله بكل صدق وأمانة لأنه يتقى الله ، ونجحت أعماله ودرت عليه غنى جزيلاً . كان مخلصًا لزوجته لأنه يخشى الله وعمل جاهدًا على قمع الشر لأنه يخاف الله . وقل عدد الذين يخشون الله حتى أصبح "نوح" لا يعرف أحدًا خارج أسرته يضع ثقته فى الله .

ثم كلم الله "نوحاً" مرة ثانية وفاجئه[1] هذه المرة بأمر غريب فقد طلب منه أن يبنى فلكًا ضخمًا أى مركب كبير متعدد الطوابق .

لابد أن يكون الفلك أكبر حجمًا من أى سفينة بنيت على وجه الإطلاق . كان على "نوح" تنفيذ ذلك الأمر لأن الله قال أنه سيمحو كل ما على الأرض من إنسان وحيوان بطوفان هائل ، وسيرسل إليه كل أجناس الوحوش والبهائم[2] حتى يعاد تعمير العالم الجديد بعد الطوفان .

قامت شركة إنشاءات "نوح" بمشاريع بناء ضخمة فى زمنه لكن لا شىء يضارع هذا المشروع. وضعوا التصاميم حسب المقاييس التى أعطاها له الله واشتروا كل المواد الخام اللازمة . سمع الحى كله بهذا المشروع أو بالأحرى البلد كلها ، وأطلقوا عليه "حماقة نوح" لكن على الأقل لم تكن هناك يد باطلة فى المنطقة كلها . كان العاملون فى غاية السعادة إذ كان "نوح" صاحب عمل عادل ولم يهتموا البتة فيم كان نوح" العجوز ينفق أمواله طالما كانوا يستفيدون منها حتى ولو من بعيد .

مر شهر وراء شهر بل سنة وراء سنة وانتهى بناء الفلك . استحدثت تقنيات جديدة مثل نظام خشب الجفر العازل للمياه الذى أصر "نوح" على استخدامه[3] . لكن "نوح" كان مجنونًا ! فهو لم يكتف ببناء الفلك بعيدًا عن أى نهر بل لم يزوده بأى رصيف منحدر يساعد على إطلاقه من أى مياه . فكان الفلك مستقراً فى مكانه على الأرض ، بناء هائل يزن آلاف الأطنان ويحيط به الرافعات والسقالات من كل جانب .

صرح "نوح" بأن الفلك لا يحتاج لسحبه إلى أى نهر لأن المياه هى التى ستأتى إليه . من سمع شيئاً مثل هذا القبيل ؟ وعندما تزاحم حوله الصحفيون لم يستطع إخبارهم متى أو كيف ستأتى المياه إليه .

ومضت السنوات وقارب الفلك على الانتهاء ، وأدخلوا فيه آلاف من أقفاص وإسطبلات الحيوانات . وعمل المقاولون والعمال بمختلف تخصصاتهم لوقت إضافى ولم يحظ موردو المواد الخام بمثل هذا العمل الرائج من قبل .

"نوح العجوز المجنون" وظف باحثين فى تخزين الطعام لبحث الاحتياجات الغذائية وتقنيات الإنتاج الغذائى . وعمل المزارعون على توفير مخزون ضخم من الحبوب والمحاصيل الغذائية الأخرى ، كما تم تطوير أساليب تجفيف الطعام وحفظه . بينما كان إنشاء الفلك يقارب على الانتهاء عملت شركات النقل على توصيل أطنان من الطعام إلى موقع الفلك وتم شحنه على متن المركب وتخزينه فى الأماكن المخصصة كما تم تركيب أنابيب وأحواض المياه وأنظمة التخلص من النفايات.

حتى لو كان "نوح" مجنونًا فهناك شىء واحد تقدر أن تقوله عليه وهو أنه كان يفعل كل شىء بطريقة مبالغ فيها . وتساءل الكثيرون عما سيفعلون فور انتهاء العمل فى الفلك . وظل "نوح" يخبرهم بأنه لا داع للقلق والبحث عن العمل لأنه ما لم يكونوا على متن الفلك عند تدفق مياه الطوفان الموت سيكون مصيرهم .

عندما تم الانتهاء من كل شىء وتخزين كل مايلزم من طعام أنزل "نوح" كل الرافعات وأزال ورش العمل والحظائر إذ قال بأنه لا يريد الاصطدام بأى شىء عند إتيان المياه إذ لا ينبغى ثقب الفلك فى الدقائق الأولى من الرحلة !

أعلن "نوح" ذات يوم بأنه لم يبق إلا سبعة أيام وإذا أراد أحد الانضمام إليه وإلى أسرته وينجى من الموت فمرحبًا به . فكر بعض أصدقائه فى ذلك العرض لكنهم لم يقتنعوا تمامًا بالفكرة وخافوا أن يتهموا بالجنون مثل "نوح" .

بالطبع كان"نوح" إنسانًا لطيفًا وصديقًا وفيًا ، يكثر الكلام عن الله لكنه كان يتصف بالأمانة والتعقل والإسراع إلى مساعدة الآخرين . لم يتبق إلا سبعة أيام ولا يوجد حيوان واحد فى أى قفص . لابد أنه كان مجنونًا !

شرع البعض فى إعادة التفكير لكن بدأت الحيوانات فى الوصول . بدت المنطقة حول "نوح" كأنها حديقة حيوان واسعة : حيوانات من كل نوع ـ بما فيها أنواع لم تر من قبل ـ وطيور من كل شكل بدأت تأتى من جميع الاتجاهات .

بدت الحيوانات كما لو أنها لديها بوصلة اتجاهها إلى وسط سفينة "نوح" وظلت تتدفق يومًا بعد يوم . كان أمرًا غريبًا فلم تأت الحيوانات فى قطعان بل أحيانًا كنت ترى سبعة من نوع واحد لكن فى أغلب الحالات اثنين من كل نوع : ذكر وأنثى . كلها صغيرة السن ، لا تتعدى سنة أن سنتين حتى البراكيوصورات لم تكن تكبر عن الخيول بكثير .

بعد ثلاثة أيام ساد جو مثل جو المهرجانات والاحتفالات : أكشاك للوجبات السريعة وعازفين متجولين لإطعام وتسلية آلاف المتفرجين .

والآن حان اليوم الموعود وامتلأت الشوارع بالناس التى جاءت لتسخر من "نوح" العجوز" . لكن إذا لم يكن الأسبوع الماضى غريبًا بتدفق كل تلك الحيوانات فإن اليوم يبدو أكثر غرابة لأنه لم يصل ولا حيوان واحد !

ووقف "نوح" على عتبة الباب الضخم كمن سيلقى خطبة . صرخ أحدهم "نراك غدًا يا نوح" . واشترك الجميع فى الضحك والسخرية وحين ساد الصمت تكلم "نوح" .

"أود أن أشكر جميع من ساعدنى فى تنفيذ هذا المشروع . أنا ممتن لكم جميعًا . لقد تحدثت مع أغلبكم خلال السنوات الماضية عن سبب بناء هذا الفلك وأخبرتكم بأن الله طويل الأناة ورحيم ولا يريد أن يهلك أحد لكن صبره بدأ ينفذ ، وكثيرًا ما حرضتكم لتتحولوا عن تمردكم ضد الله ولتتركوا طرقكم الردية لعبادة الله والانضمام لى حين يأتى اليوم الموعود .

"أقربائى وأصدقائى وجيرانى ، لقد حان الوقت ! بإمكانكم الآن اللحاق بى وبأسرتى إذا صدقتم كلام الله . لكن إن لم تفعلوا فيؤسفنى أن أقول وداعًا . لن ترونى ثانية" .

ثم خرج إلى الجمهور الواقف أمامه وبدأ يصافح الأشخاص الذين تعرف عليهم على مدى السنين واغرورقت عيناه بالدموع وهو يعانق إخوته وأخواته الذين كانوا يظنون أنه فقد عقله . لكن جده

"متوشالح" لم يظن هكذا بل شجعه وهو يبنى الفلك لكنه مات منذ أسابيع قليلة فى سن الـ 969 . معنى اسمه "حين يموت ، سيأتى" .

حين دخل "نوح" من فتحة الباب هتف إليه أحد المهندسين "كيف سترفع الباب لتغلقه ؟ لديك المزلاج والأقفال عندما يُغلق الباب لكن كيف ستغلقه ؟" عندئذ صرخ الجمع ساخرًا "حقاً ، كيف ستغلق الباب يا "نوح" ؟"

ثم خيم الصمت على الجميع عندما رأوا مشهدًا غريبًا . طرف الباب الضخم الذى كان على الأرض بدأ يرتفع قليلاً ويتأرجح ببطء حتى أغلق الباب . وفى السكون المطبق الذى تلى بعد ذلك سمعوا "نوح" وأولاده يضعون القضبان المعدنية والمزلاج .

قال أحدهم : "يا للعجب ! أهذا ما تعتقده ؟" وقال الآخر "إنه شبح" . لكن حين مر الوقت ولم يحدث شىء آخر عادوا إلى روح المرح وقالوا : "نراك فى الصباح يا "نوح" !"

ماذا كان هذا ؟ هل تحركت الأرض ؟ إنه يحدث ثانية . إنها حركة أرضية بسيطة لكن ملحوظة. فجأة حدث هرج ومرج ! اهتزت الأرض بشدة وتأرجحت فوقع الجميع . وبدأت المياه تتدفق من الأرض كالجبال الضخمة وتصاعد النار والبخار من التلال البعيدة .

ساد الذعر بين الناس وهم يتقافزون بلا حول ولا قوة على الأرض . تذكر أحد المهندسين إصرار "نوح" أن يُبنى الفلك بقوة ومتانة فائقة مع إنه كان يعتقد فى داخله أن ذلك الأمر مبالغ فيه ولا ضرورة له ، لكن هذه الفكرة غرقت معه إذ ضربته موجة عالية مع الآخرين ودفعتهم بعيدًا . اسودت السماء وهطلت أمطار غزيرة وبدأت سفينة "نوح" تطفو فوق المياه العميقة .

بعد ستة أسابيع توقفت سيول الأمطار الغزيرة وبعد مرور أربعة شهور شعروا بخبطة كبيرة إذ ارتطم الفلك بالأرض ، وانتهت رحلتهم العائمة التى دامت خمسة شهور . لكن لم ينته الأمر بعد! إنهم يشعرون باهتزازات أرضية يبدو أنها مستمرة بلا نهاية . وانتظروا سبعة شهور أخرى بدأت فيها الأرض تظهر من تحت المياه [4] وقلت الاهتزازات تدريجيًا . كان هذا الطوفان الذى دمر العالم ـ وبذلك انتهت دينونة الله الواقعة على عالم شرير .

بعد 371 يوم ، أى أكثر من سنة ، من إغلاق الباب فتحوه وخرجوا مع الحيوانات . لقد أصبحوا فى عالم جديد .

أزيز الحشرات ملأ الجو ، وبدأت النباتات تنمو هنا وهناك من تحت الطين بجانب عظام حيوان ميت فى بعض الأحيان . كانت معظم الجبال مكسوة باللون الأخضر وبعض أنواع الأشجار طالت قامتها . عدد لا حصر له من الكائنات الميتة وُجد مدفوناً تحت الطمى والرمال التى جفت تحت أقدامهم . لم يكن هناك شخص حى ماعدا الذين ركبوا الفلك ـ ولا حتى حيوان واحد[2] .

صدق "نوح" كلام الله عن الطوفان رغم أن ما من أحد رأى مثله من قبل . ولأنه وضع ثقته فى الله بنى الفلك وبذلك نجى من الموت هو وأسرته .

ولأنه اتكل على الله ووثق فيه وُجدنا نحن اليوم ، لأننا جميعًا ، حتى الأشخاص المتشككين ، نسل أبناء "نوح" الثلاثة : "سام" و"حام" و"يافث" .

إن الطوفان العظيم يرينا كيف يفكر الله فى الخطية . إننا نحتاج لملجأ مثل الذى لجأ إليه "نوح" وعائلته ، والملجأ الذى أعده الله لنا هو شخص يسوع المسيح الذى مات لينزع عنا الخطية . كما اتكل "نوح" على الله احرص على الاتكال على الرب يسوع لتتحرر من دينونة الله المعدة للمتمردين عليه .

"رنتون ماكلاكلان" يعمل على نشر علم الخليقة منذ 20 عامًا . متزوج من "ميرلين" التى تولت مسئولية تعليم بناتهما الثلاثة بالمنزل . تولى إدارة المؤتمرات الصيفية لـ Inter-School Christian Fellowship لمدة عشر سنين تقريبًا ويهتم بمواجهة الأفكار الغير مسيحية .

References and notes

1. كان الرب يشير إلى الطوفان فى تكوين 6 : 7 وتكوين 7 : 13 - 21 . وفقاً للتركيب البنائى لسفر التكوين الذى اقترحه "بى . ج. وايزمان" أولاً ثم أيده د."هنرى موريس" وآخرون فإن أقوال الله هذه ذكرت فى وثيقتين مختلفتين. الوثيقة الأولى ترجع إلى "نوح" وتبدأ من تكوين 5 : 1 - 6 : 8 . الوثيقة الثانية (تكوين 6 : 9 - 10 : 1) ترجع إلى أبناء "نوح" . الأولى لا تشير إلى الطوفان أو الفلك . ارتبطت الـ120 سنة بنفاذ صبر الله وأناته وهى الوقت السابق لتنفيذ القضاء الإلهى . لم يولد "حام" ولا "سام" ولا "يافث" خلال الزمن الذى تواصل الله فيه مع "نوح" كما يشير تكوين 5 : 32 أنهم ولدوا بعدما بلغ "نوح" 500 سنة . تفاصيل حادثة الطوفان والفلك نراها فى الوثيقة الثانية بعد زواج الأبناء على ما يبدو (6 : 18) . اقرأ أيضًا "هل حقًا كتب موسى سفر التكوين؟" بقلم "ر. جريج" - مجلة الخليقة 20 (4)

2. حدد الكتاب المقدس الحيوانات التى كل ما فيها نسمة روح حياة فقط (تكوين 7 : 22) وبالتالى تتضمن كل الفقاريات أى ليس الحشرات وماشابهها التى تستطيع العيش خارج الفلك على أشياء عائمة مثل النباتات والخشب المجروف وماشابه ذلك .

3. فى تكوين 6 : 14 أخبر الله "نوح" بأن "يطلى" الفلك بالقار . عادة تأتى مادة القار من الكائنات التى دُفنت إثر الطوفان (خاصة النباتات) لذا لم يكن موجودًا بعد . لكن لقرون ظل الناس يغلون خشب الجفر مع الفحم ليحصلوا على هذه المادة العازلة للمياه .

4. مزمور 104 : 8 الذى يشير إلى وعد الله بألا يدع الماء يغطى الأرض مرة ثانية يقصد الهزات الأرضية الهائلة التى حدثت بعد الطوفان ، حيث ظهرت رؤوس الجبال وازدادت المحيطات عمقاً لأن الماء استقر فيها. اقرأ "هل حقاً تصعد الجبال كما يقول مزمور 104 : 8 ؟" بقلم "تايلور" بمجلة CEN Technical Journal 12 (3) : 312 - 313 ، 1998